

الفصل الثاني الإطار النظري

المبحث الأول : السبك النصي

أ. مفهوم السبك النصي

١. السبك في المعجم العربي

السبك لغة من كلمة سَبَكَ - يَسْبِكُ - سَبْكَاً أو سبك الفضة بمعنى أذابها وصبها في قالب، أو سبك الكلام بمعنى أحسن ترصيفه وتهديبه. وكذلك السَّبْكَ هو: عملية إذابة الذهب، أو الفضة، ووضعها في قالب من حديد حتى تخرج متماسكة متلاصقة، وتسمى حينئذٍ سبيكة.^١ وقد استعمل المصطلح للدلالة على الكلام من باب المجاز، قال الزمخشري : (ومن المجاز : هذا كلام لا يثبت على السَّبْكَ، وهو سَبْكَ للكلام).^٢

يلحظ مما تقدم وجود علاقة بين المعنى المعجمي والمعنى المجازي الذي انتقل دلالة اللفظة إليه، أن المتكلم يقوم بجمع ألفاظ من شتات، فيجمعها في ذهنه فتخرج متماسكة، وقد يخطئ سباك الذهب فتخرج السبكية مشوهة المظهر. كذلك يخرج الكلام من فم المتكلم، إما حسن السبك أو لإجادة المتكلم الصياغة، أو رديء السبك فتمجه الأذن، لعي صاحبه.

٢. السبك في الاصطلاح

استعمل المصطلح السَّبْكَ في النحو العربي والبلاغة العربية واللسانيات النصية.

فالأول، السبك عند النحويين، كما قاله محمد علي الصَّبَّان (ت ١٢٠٦ هـ) في

إعراب البيت^٣ :

^١ الخليل بن أحمد الف راهيدي، العين مادة : سبك (العراق : دار الرشيد للنشر، ١٩٨٤ م)، ٣١٧.

^٢ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة ط ١ (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٩٢ م)، ٤٣٥.

^٣ محمد بن علي الصَّبَّان، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ط ١ (القاهرة : مكتبة الصفا، ٢٠٠٢ م)، ٢٣٦-٢٣٧.

المقابل العربي	الباحث	موضوع الكتاب
الاتساق	د. محمد خطابي	لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ١١.
الانسجام	د. أحمد مداس	لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب، ٨٣.
الترابط	خولة الإبراهيمي	مبادئ في اللسانيات، ١٩٢.
	د. محمد الشاوش	أصول تحليل الخطاب، ٢٥/١.
الترابط القواعدي	د. موفق محمد جواد	أسس لسانيات النص، ١٥١.
التضام	إلهام أبو غزالة	مدخل إلى علم اللغة النص، ١١.
التماسك	د. الأزهر الزناد	نسيج النص، ١٥.
	د. صبحي إبراهيم الفقي	علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ٩٣/١.
	د. فالخ بن شبيب	مدخل إلى علم اللغة النصي، ٩٣.
التناسق	بشير إبرير	من لسانيات الجملة إلى علم النص، ٢٣.
الربط	نوال لخلف	الانسجام في القرآن الكريم، ١٠.
الربط اللفظي	د. عزة شبل محمد	علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، ٩٩.
الربط النحوي	د. سعيد حسن بحيري	علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ١٤٥.
السبك	د. أحمد عفيفي	نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ٧٥.
	د. تمام حسان	النص والخطاب والإجراء، ١٠٣.
	د. جميل عبد المجيد	البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ١٨١.
	د. سعد مصلوح	نحو آجرومية للنص الشعري، ١٥٤.

وقد اختارت الباحثة مصطلح (السبك) من بين المصطلحات الأخرى، لوضوح دلالاته في التراث، ولثبات المصطلح في الدراسات النصية العربية، واستعماله لدى الرواد من الباحثين العرب، من هنا صار (السبك) هو المصطلح الأكثر دلالة على المفهوم المراد في لسانيات النص فضلاً على أنه الأكثر شيوعاً من بين المصطلحات الأخرى، في التراث والمعاصرة.

أمّا مفهوم السبك عند النصيين فهو ((علاقة أو مجموعة علاقات عامة مكونة للنص، يتعرض بعضها لقيود حين يندمج في بنية الجملة لأن الشرط النحوي لوجود

الجملة يضمن بلا شك انسجام أجزاء النص لتكون نصاً بأية حال. لكنّ العلاقات الاتساقية هي ذاتها سواء أكانت عناصرها في جملة واحدة أو لا؟))، أو هو ((خاصية دلالية للخطاب، تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى)).^٦

فالسببُ هو جزءٌ من مكونات النظام اللغويّ الذي يتكون من المكون الفكريّ، والمكون التواصليّ، والمكون النصيّ، إذ يشكل المكون النصيّ (السبب) النصّ في النظام اللغويّ، ويضم الوسائل التي تمتلكها اللغة لإنتاج النصّ؛ ليصبح متعلقاً بالموضوع ومتناسقاً في علاقاته مع ذاته، ومع سياق المقام، وعمل المكون النصيّ بصفة جزئية كالمكونين الآخرين عن طريق أنظمة مرتبطة بما رتب خاصة في النحو، وعلى سبيل المثال، تقوم كلُّ عبارةٍ بانتقاءٍ معين في النظام اللغوي، وهو انتقاءٌ يعبرُ عن تنظيم المتكلم العبارة رسالة، و يعبرُ عن طريق الآليات الطبيعية لبنية الجملة، كذلك يقوم المكون النصيّ بربط عنصرٍ في النصّ بعنصرٍ آخر أين وجدا ومن دون اعتبار أنّ كلّما في النصّ متعلقٌ به.^٧

٣. وظيفة السبب في النص

يعد السبب العنصر الجوهري في تشكيل النص وتفسيره، فيعمل السبب على جعل الكلام مفيداً، ويعمل على استقرار النص وثباته، بعدم تشتت الدلالة الواردة في النص، وتنظيم بنية المعلومات داخل النص. هذا كله يساعد القارئ على فهم النص عن طريق متابعة خيوط الترابط المتحركة عبر النص التي تمكنه من ملء الفجوات. أو معلومات ما بين السطور التي لا تظهر في النص ولكنها ضرورية. ويرى (فان ديك) أن السمات الشكلية في النص تحدد بنيته الدلالية.^٨

^٦ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص (الكويت : عالم المعرفة، ١٩٩٢ م)، ٤٤.

^٧ أحمد حسين حبال، السبب النصي.....، ٤٩.

^٨ فان ديك، ترجمة سعيد حسن مجري، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات (القاهرة : دار القاهرة للكتب، ٢٠٠١ م)، ٢٧٥.

تشكر آلية مهمة من آليات سبك النص، حيث تقوم هذه الحروف بربط الألفاظ الأفراد بعضها ببعض، كما تربط الجمل، والتراكيب، والفقرات، والنصوص بعضها ببعض، (العطف إذا موضوع على أنك تعطف تارة جملة على جملة، وتعتمد أخرى إلى جملتين أو جمل، فتعطف بعضها على بعض، ثم تعطف مجموع هذي على مجموع تلك). أضف إلى ذلك (أن هذا الربط الذي تقوم به هذه الأدوات يقوم على الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، فيفيد الرابط أحيانا مجرد الترتيب في الذكر، فمثال ذلك حرف الواو في العربية. وقد يقوم الرابط أحيانا كذلك على الجمع ولكنه يدخل معنى في آخر يتعين به نوع العلاقة بين الجملة والأخرى، أو بين المفرد والمفرد مثل: الفاء، وثم، وأو، وغيرها، في العربية حيث تربط وتعبر عن علاقة منطقية بين العنصرين المرئطين).^{٣١}

وأنواعه أربعة أقسام، وهي :

(١) الوصل الإضافي (Additive)

الوصل الإضافي يربط الأشياء التي لها نفس الحالة، فكل منهم صحيح في عالم النص، وغالبا ما يشار إليه بواسطة الأدوات: (و- أيضا- كذلك- أو- أم). والاختبار من بين هذه الأدوات في النص هو اختبار بلاغي (فالواو) تفيد معنى الاشتراك، و (أو) تعطى معنى البديل وعادة ما تستخدم مع السؤال والطلب والوعد والخبر.^{٣٢}

(٢) الوصل العكسي (Adversative)

يستخدم دي بوجراندي ودريسار (١٩٨١) مصطلح وصل النقيض، حيث تكون العلاقة بين الأشياء متنافرة أو متعارضة في عالم النص. وعادة ما يشار إليها بالأداة: (لكن- مع ذلك- بل- لا- على الرغم- على أية

^{٣١} إبراهيم نوفل، المعايير النصية...، ٨٣.

^{٣٢} عزة شبل محمد، علم اللغة النص النظرية...، ١١١.

حال- من ناحية أخرى)، والتعبيرات اللغوية نحو : (بيد أن، غير أن،
خلاف ذلك، على العكس). فالمعنى الأساسي لعلاقة الاشتراك هو عكس
التوكع^{٣٣}.

مثال : كل الأرقام صحيحة، تمت مراجعتها، ومع ذلك فالمجموع به
خطأ.

٣) الوصل السببي (Casual)

ويراد به الرّبط المنطقي بين جملتين أو أكثر. والشكل البسيط للعلاقة
السببية هو التعبير عنها من خلال الكلمات (لهذا- بهذا- لذلك- لأن-
لكي) وعدد من التعبيرات مثل: (نتيجة ل- سبب ل)^{٣٤}.
مثل: باربارا لم تكن أبدا سعيدة، لذلك رحلت.

٤) الوصل الزمّني (Temporal)

وهو علاقة بين جملتين متتابعتين زمنياً. الرّبط الزمّني من الأدوات التي
تؤدي إلى تماسك النص. وتربط العلاقة الزمنية بين الأحداث من خلال
علاقة التتابع الزمّني أي التتابع في محتوى ما قبل. ويعبر عن هذه العلاقة من
خلال الأداة (ثم- الفاء)، وعدد من التعبيرات مثل: (بعد- قبل- منذ-
بينما- في حين- وبعد ذلك- على نحو تال). وقد تشير العلاقة الزمنية إلى
ما يحدث في ذات الوقت مثل: (في ذات الوقت- حالا- في هذه اللحظة)،
أو تشير إلى السابق مثل: (مبكرا- قبل هذا- سابقا).^{٣٥}

^{٣٣} عزة شبل محمد، علم اللغة النص النظرية...، ١١١.

^{٣٤} نفس المرجع، ١١٢.

^{٣٥} نفس المرجع، ١١٢.

وتنقسم وسائل المصاحبات على^{٤٤} :

١ - الارتباط بموضوع معين، وسماه د. محمد خطابي بـ "التلازم الذكري"، ويتم الربط بوساطته بين العناصر المعجمية لظهورها في سياقات متشابهة مثل :
ماركس، التغيير الاجتماعي.

٢ - التضاد : تترابط الكلمات بعضها مع بعضها الآخر عن طريق أشكال التقابل بأنواعها المختلفة مثل المكملات: (ولد- بنت)، (يقف- يجلس)، والمتعارضات : (يحب- يكره)، (يبرد- يسخن)، والمقلوبات: (يأمر- يطيع).

٣ - علاقة الجزء بالكل : مثل : (صندوق - غطاء الصندوق).

٤ - علاقة الجزء بالجزء : مثل : (فم - أنف).

٥ - الاشتمال المشترك : مثل : (كرسي - منضدة) فهما كلمتان تشتمل عليهما كلمة أثاث.

٦ - الانتماء إلى مجموعة منتظمة : مثل : (السبت - الأحد - الاثنين - الثلاثاء... الخ) مجموعة أيام الأسبوع.

٧ - الانتماء إلى مجموعة غير منتظمة : مثل : (أحمر - أزرق - أخضر ... الخ) مجموعة الألوان.

ج. السبك النصي في القرآن الكريم

ومن أمثلة السبك في القرآن الكريم، أخذت المثال من الإحالة البعدية في السورة قوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٦١﴾ الأنعام : ٢١. فالضمير (هاء) يحيل على جملة (لا يفلح الظالمون)، فهي التي تفسره، وفي هذه الحالة تنتقل دلالة الضمير من الإحالة على الاسم الظاهر إلى الكناية عن مضمون الجملة التي بعده وتؤدي الجملة بعده وظيفة تفسيره ، ويسمى حينئذٍ عند النحاة بـ

^{٤٤} نفس المرجع، ١٠٩-١١٠.

ذلك، فتتباين تقديراتهم، وكان ذلك فتنة لهم (عن تساؤل الكفار - حين يبعثون يوم القيامة - كم لبثوا في الدنيا؟).^{٥٠}

وهكذا، فالقصة التي أراد منها مشركو قريش أن تظهر "كذب" محمد قد أقامت لهم "الدليل الملموس" على صدق الوعد بالبعث، فكما بعث الله أولئك الفتية سبيعت الناس، وسيروا منكر البعث والحساب ذلك بأنفسهم يوم القيامة. إذن فعلى الرسول أن لا يأسف على قومه لكونهم لم يستجيبوا له، ولا يغتر بما يعدونه من الاستجابة إذا هو طرد الفقراء من المسلمين من مجالسه، مدعين أنهم لا يمكن أن يجلسوا وراء مواليهم وعبيدهم أو جنبا إلى جنب معهم، كما أن على الرسول أن لا يعير اهتماما لما يتمتعون به من زينة الحياة الدنيا، بل عليه أن لا يفارق هؤلاء المؤمنين الفقراء، وأن لا يفصلهم عنه ولا يضطرهم إلى اللجوء إلى البقاء في "كهوفهم"، كما اضطر أهلك الفتية.^{٥١}

بعد هذا تضرب السورة أمثلة لقريش تبين لهم من خلالها أن لا شيء يدوم في الدنيا على حاله، وتدعوهم إلى تأمل حال رجلين لكل منهما مزرعة، كانتا في البداية على حال واحدة من الخصب وحسن المنظر، غير أن أحدهما غلبه الزهو بمزرعته والاعتداد بنفسه، فصار يمدح فيها ويرفع من شأنها مستصغرا مزرعة صاحبه مستعليا عليه، قائلا له: **وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا** ﴿٢١﴾ **وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا** ﴿٢٢﴾ مضيفا: **وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا** ﴿٢٣﴾ ناسيا أن الأحوال يمكن أن تنقلب ضده. أما صاحبه، وكان متواضعا، فرد عليه قائلا: لا تغير فعسى أن يؤتيني ربي خيرا ويسلط على مزرعتك صاعقة تحرقها أو يغور الماء من بئرها. وذلك ما حدث بالفعل، فقد تلف ثمرها وأصبحت خاوية على عروشها، فندم

^{٥٠} محمد عابد الجابري، فهم القرآن الحكيم، ...، ٢١٧.

^{٥١} نفس المرجع، ٢١٨.

